المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الحقيقة المحمدية عند فلاسفة الصوفية

الدكتور ساري محمد الضروس

محاضر –غير متفر غ -الجامعة الأردنية ـ كلية الشريعة ـ الأردن

E-MAIL: drooseman@gmail.com

الملخص:

يُشَـكِّل التصـوف الإسـلامي جزءًا أسـاسـيًا في تاريخنا وتراثنا العربي؛ حيث تبوأ مكانًا هامًا في الفكر العربي الإسـلامي، فهو قطاع أسـاسـي من قطاعاته، والاهتمام بالتصـوف قديم، تناوله المؤرخون والعلماء كالطوسـي، والكلاباذي، والقشـيري، وغيرهم، كما ألَّف فيه الفلاسـفة كابن سـينا والغزالي وابن خلدون، وتجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام، إضـافة إلى جهود المستشـرقين أمثال نيكلسـون وماسـينيون وغيرهما، وما أحاول في هذا البحث مناقشـته مسـألة الحقيقة المحمدية التي آمن بها فلاسـفة المتصـوفة، وبنوا عليها نظريات متعددة منها الفناء ووحدة الوجود والوجدانيات التي يعيشها الشاعر الصوفي.

Abstract:

Islamic Sufism constitutes an essential part of our history and Arab heritage when it assumed an important place in Arab Islamic thought, as it is an essential secort of its sectors, and the interest in Sufism is ancient, which was dealt with by Arab and muslim historians and scholars: such as Al- Tusi, Al- kalabadi, Alqushayri and others, philosophers such as Ibn- sina, Al-ghazali and Ibn-kaldun wrote in it, and scholoars of theology argued in it, in addition to the efforts of orientalists such as Nicholson, mas-signon and others. This is what I try in this intervention to explore the depths of Islamic mysticism and its historical dimensions, and to highlight the common elements be-tween it and the sources from which it was derived through influence (the conquests, translation, and contact with cultures) that was reflected on Arab religious literature, Sufism was distinguished by its aesthetic, literary, literary character and sentimental-ism sxperienced by thy Sufi poet.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

المقدمة:

قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ}(آل عمران:144).

كان لوقع وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين _ البعض منهم _ أثر مغاير لِمَ ربّى النبي عليه السلام أصحابه من عمق إيمان بالله تعالى وبالقدر البشري المحتوم على كل نفس بشرية، بأنْ تذوق الموت: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (العنكبوت:57)، إذ لم يتقبلوا فكرة وفاة النبي عليه السلام _ البعض منهم _ إلى أنْ خطب أبو بكر رضي الله عنه خطبته الشهيرة وقرأ عليهم الآية السابقة عاد للكل الإدراك الحقيقي لوفاة النبي عليه السلام وبدأ المسلمون يواصلون ما علَّمهم إياه نبي هذه الأمة من إعلاء لكلمة الله ونشر الدين الإسلامي.

ومضى القرن الأول والمسلمون يفتحون دول وأقاليم وتتداخل عليهم ثقافات متعددة الأصول، ويدخل الدين الإسلامي أمم وشعوب تَحْمِل في داخلها بقايا لِما كانت تدين به، ومن هنا بدأ دخول تيارات فكرية مختلفة على ما كان عليه المسلمون الأوائل من عقيدة إسلامية صافية، فظهر لدى المسلمين مذاهب فكرية جديدة، منها على سبيل المثال الفلسفة اليونانية، قضية التجسيم والتثليث عند علماء أهل الكلام وغيرهم.

ولم تكن الصوفية بمعزل على ما أُدخل على المسلمين من مقولات جديدة، منها الحقيقة المحمدية الفكرة القائلة بالوجود النوري الأزلي للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم الوجود التاريخي الذي ظهر عند الصوفي _ الفلاسفة منهم _ والبحث عن المصدر لهذه المقولة.

ولكن هذه الفكرة لم تكن بمستجدة على مسامعي، بل يتردد في بعض الأوقات القول بأنوار النبي، وأنها حلّت في الدار عند زيارة عالم أو رجل فاضل لهذا الدار، بالإضافة إلى ما يتردد في الموالد النبوية الخاصة من القول بحضور روح النبي صلى الله عليه وسلّم إلى المجلس الذي يقام به المولد، وغير هذا مما نسمعه.

وهنا يثار السؤال: كيف تحضر أنوار النبوة؟ ومن أين تأتي؟ وأنَّى لروح النبي صلى الله عليه وسلم أن تزور مجلسًا؟ لماذا قيل هذا الكلام؟ ومن أين منبعه؟ كل هذه التساؤلات وردت في خاطري عند بداية التعرف على الحقيقة المحمدية، فلعل هذا المبحث أن يكون مجيبًا عن بعض هذه التساؤلات.

فبدأت في هذا البحث المتواضع بتمهيد عن الصوفية ومعناها، ومن ثَمَّ مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الصوفية خاصة من أجل أن نبدأ في المبحث الأول هذا عن كشف الغطاء عن بداية بحثي، ثم في المبحث الثاني عرَّفْت الحقيقة المحمدية حسب ما وردت عند فلاسفة الصوفية من أوجهها الثلاثة حتى أستطيع ربط المعاني بعضها ببعض؛ لأستنتج الأسباب التي أدَّت إلى القول الحقيقة المحمدية عند فلاسفة الصوفية، ثم تتبعتُ أثر القائلين بها ابتداءً بالحلاج ثم ابن عربي، ثم نَوَّهْتُ بقليل من الكلام عن ابن الفارض الذي أكمل بدوره الضلع الثالث ليكتمل الإطار النظري لتلك المقولة، ثم انتقلت في المبحث الثالث إلى أدلة هؤلاء القائلين ابتداءً بالقرآن الكريم الذي استدلوا ببعض آياته على صدق مقولتهم عن طريق التأويل طبعًا وفقًا لما يرونه ويعتقدونه، ثم من السنة النبوية الشريفة ومنها حادثة الإسراء والمعراج، والتي أثارت الجدل حولها قديمًا وحديثًا لأصِل بعد ذلك إلى الرد على تلك الأدلة من خلال رؤية إسلامية صحيحة بعيدة عن التأويل وفق الأهواء والمعتقدات؛ لأبين المعنى الصحيح الذي فهمه الصحابة ثم السلف الصالح من الأدلة التي استشهد بها فلاسفة الصوفية، وفي المبحث الرابع أردتُ أنْ أعقد مقارنة بسيطة لمستُها خلال إعداد البحث من التشابه المفرط بين النظرية الأفلاطونية التي تقول بالفيض الذي يتشابه مع الوجود الأزلي للنور المحمدي وبين أقوال المسيحية عن المسيح ابن مريم وخَلْقِه وإيجاده الزمني وأيدتُ مقارنتي بأقوال الطرفين حتى اقترب من الموضوعية قدر الإمكان، ثم ختمت بحثي بخلاصة عامة استنتجتها من خلال إعدادي للبحث المتواضع هذا .

واني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت من الاقتراب من الصدق والوضوح في كتابتي عن تلك النظرية التي ما زال بعض من المسلمين يعتنقها ويقنع الآخرين بها. والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية البحث في التصوف الإسلامي إلى توضيح مفهوم الحقيقة المحمدية للقارئ، وتوضيح نشأة هذا المصطلح والمصادر التي تأثّر بها، كما ترجع أهمية البحث إلى رغبة الباحث في توضيح أهمية التمسك

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

بالقرآن والسـنة والدفاع عنهما، من أجل الحفاظ على أصـول الدين، قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ } (آل عمران:31).

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة للإجابة على مجموعة من الأسئلة وهي:

1- ما معنى الحقيقة المحمدية، ومَن أول مَن قال بها.

2- ما هي الأسباب التي أدَّت إلى ظهور الحقيقة المحمدية.

3- ما هو الرد الشرعي على القائلين بالحقيقة المحمدية.

4- ماذا ترتَّب على القول بالحقيقة المحمدية.

5- ما العلاقة بين الافلاطونية الحديثة والحقيقة المحمدية.

6- ما العلاقة بين الحقيقة المحمدية والصوفية المسيحية.

أهداف الدراسة:

1- يهدف البحث إلى توضيح مفهوم التصوف الإسلامي، واختلاف مفهومه عبر العصور.

2- تناول البحث نشـأة التصـوف ومراحل تطوره، ويُسَـلّط البحث الضـوء على الحقيقة المحمدية تعريفها ونشأتها ومدى صحتها ودقتها إذا ما قِيْسَت بمقاييس الشرع.

منهجية الدراسة:

يعتمد البحث على المنهج الوصـفي التحليلي مع الاسـتعانة بما يخدم جزيئاته من مناهج أخرى، فكما نعلم لا توجد فواصـل دقيقة بين منهج وآخر، فقد تجتمع عدة مناهج في بحث قضـية واحدة، وهذه ضـرورة أكَّدها المنهج الحديث.

وتقوم عناصر هذا المنهج على ما يلي:

1- عرض الأفكار وتحليلها ومناقشة محتواها، وربما بمقارنتها مع غيرها في ذات الفكرة.

2- إبراز أهم القضايا المتصلة بالفكرة– موضوع الدراسة- أثناء تداولها.

3- استخلاص النتائج ومحاولة تقييمها مع بيان أوجه التصور في تلك النتائج إذا وجد إلى ذلك مدخل.

الدراسات السابقة:

1- الحقيقة المحمدية عند أقطاب السـادة الصـوفية إسـلامًا وإيمانًا وإحسـانًا، يوسـف بن إسـماعيل النبهاني، ترجمة وتحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، 2012م.

وهذه الدراسـة تمجد فكرة الحقيقة المحمدية ، وأصـحابها، ولا تتعرض لها بشـيء من النقد والتحليل.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

2- أثر الفكر الصوفي في التفسير دراسة ونقد، بهاء حسن سليمان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة 2013م، وهذه الرسالة لم تتطرق لموضوع الحقيقة المحمدية بالكامل.

3- الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة، - ابن الفارض – أنموذجًا- بولعشار مرسلي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، قسم اللغة والأدب العربي، 2015م.

تطرق الباحث للحقيقة المحمدية من غير تحليل مستفيض لها، ووضْعِهَا في ميزان الشرع والحكم عليها ، ورسائل أخرى متعددة لكن لم أجد منها ما يُفِّصل الحديث عن الحقيقة المحمدية.

التمهيد

أولًا: معنى التصوف لغة واصطلاحًا:

التصوف في الإسلام لم يستطع أحد من المؤرخين وضع تعريف مستقل يوافق جميع الصوفية عليه باعتبار أنَّ التصوف تجربة نفسية أو رحلة يَعْبُرُ صاحبها من العالم المحسوس إلى عالم آخر يراه بوجدانه لا بعينه، ومن هنا نشأت اختلافات حول تعريف التصوف لدى المتصوفين تَبَعًا لاختلاف التجربة وظروفها وصاحبها أيضًا.

التصوف لغة:

قال ابن فارس: صوف الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف، والباب كله يرجع إليه، يقال كبش أَصْوَف وصَوِفٌ وصائف وصاف، كل هذا أن يكون كثير الصوف[1].

التصوف اصطلاحًا:

ذكر السراج الطوسي أكثر من عشرين تعريفًا[2]، وأما القشيري فقد ذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفًا من الصوفية المتقدمين[3]، وقال السهروردي: وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول[4]، ولقد اخترت تعريف ابن الجوزي من بين مجموع تعاريف التصوف المتعددة.

ويُعَرِّف ابن الجوزي التصوف بقوله:" إنَّ التصوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبع بِرَدِّه عن الاخلاق الرذيلة وحَمْلِهِ على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق، ثم قال: وعلى هذا كان أوائل القوم، فلَبَّس إبليس عليهم في أشياء، ثمّ لبَّس على من بعدهم من تابعيهم، فكلّما مضى قرن زاد طَمَعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكَّن من المتأخرين غاية التمكّن"[5].

قلت: تعريف ابن الجوزي لمصطلح التصوف يُقابل مفهوم التزكية في الشرع، ولو أنَّ الصوفية التزموا بالمصطلحات الشرعية، لسدُّوا بابًا واسعًا من أبواب البدعة ألا وهو باب المصطلحات.

وهو من خلال هذا التعريف نجد أنَّ التصوف جامع لكل حميد من الصفات والأخلاق وحسن الإتِّباع، وهو مأخوذ من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام التي تشمل في معظم الأحيان على العمل على إزهاد الناس في الدنيا وعدم التعلق بها لأنها دار فناء لا دار بقاء، قال تعالى:{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً }(الكهف:28)، ولا تكاد تخلو سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام كذلك من زهد في الدنيا والإقبال على الآخرة سواء كان ذلك في أقواله أو أفعاله أو حتى حياته التي عاشها عليه الصلاة والسلام، فهو المرجع لأي صوفي أقبل على الله حُسْن الإقبال، تروي السيدة عائشة رضي الله عنها : أنَّ النبيّ صلى الله عليه

[1] الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص322.
[2] الطوسي، اللمع، ص 45.
[3] القشيري، الرسالة القشيرية، ص465.
[4] السهروردي، عوارف المعارف، ص44.
[5] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص147.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

وسلّم كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالت عائشة: " لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: " أفلا أكون عبدًا شكورًا"[1].

ثانيًا: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الصوفية:

إنَّ الباحث في التصوف والمتأمل فيه يجد أنَّ الصوفية لم يختلفوا منذ البداية على حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم شأنهم في ذلك شأن عموم المسلمين، ولم يختلف حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الإتباع والاقتداء بسيرته عليه الصلاة والسلام سواء بسواء، بل والسَير على أثره وتطبيق سنته في كافة نواحي الحياة، وإلى هذا الحد لا يوجد ما يُخالف النظرة الإسلامية لاتِّباع السنة الشريفة، ولكن من شدة حب بعض الصوفية للنبي عليه السلام بلغَ به الحب إلى مرحلة الفناء في هذا الحب والتضحية من أجل الوصول إلى أعلى مراتب الحب والعشق النبوي، ونلاحظ أيضًا حسن الإتباع لسنّةِ الشريفة دون الابتداع بها فهم سائرون على نهجها من عبادات ونوافل متنوعة وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل اعتبر الصوفية أنفسهم أنّهم ورثة للنبي صلى الله عليه وسلم، إذ ورثوا الناحية الأخلاقية واعتبروا أنفسهم المُبَلِّغين للدعوة الإسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذو على عاتقهم هذه المهمة الصعبة والتي تحتاج إلى شروط كثيرة للعاملين في هذا المجال لا سبيل لذكرها هنا، ثم بدأت مرحلة المبالغة في حب النبي عليه السلام وتقليده في علاقته مع الله من انقطاع للعبادة وغيرها حتى بدأوا يتفانون في هذا الحب إلى درجة الاتحاد مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعلوه مركزًا ومحورًا للوجود ووضعوه مثالًا أعلى، بل لم يجدوا شخصية تحمل جوانب الكمال سوى شخصية النبي عليه السلام، وبدأ تكوُّن بذور الحقيقة المحمدية عند بعض الصوفية وكان أولهم الحلاج ثم ابن عربي [2].

المبحث الأول: الحقيقة المحمدية تعريفها ووجودها التراث الصوفي:

المطلب الأول: تعريف الحقيقة المحمدية:

لقد تناول المتصوفة مصطلح الحقيقة وعرّفوها بتعريفاتهم الخاصة، فكما أنَّ لغتهم وفلسفتهم في الحياة تختلف عن عامة الناس فإنَّ تناولهم للحقيقة يختلف عما هو معروف، فإنَّ ابن عربي يربطها بوحدة الوجود.

فهي كما تقول سعاد الحكيم: "إنها واقع الوجود الذي يراه شيخنا الأكبر في وحدته، والوصول إلى الحقيقة هو الشهود إلى تلك الوحدة الوجودية، إذن الحقيقة هي الوصول إلى وحدة الوجود[3].

وتضيف "سعاد الحكيم" صاحبة المعجم الصوفي تقول: " الحقيقة المحمدية أكمل مجلى خَلقي لاسم إلهي، فإنّ محمدًا صلى الله عليه وسلّم قد انفرد بأنَّه مجلى للاسم الجامع، والاسم الأعظم ولذلك كانت له مرتبة الجمعية المطلقة[4]، وفي ذلك يقول ابن عربي: "إنّ الحقيقة هو ما عليه الوجود، بما فيه من الخلاف والتماثل والتقابل"[5].

فالحقيقة عند ابن عربي لها علاقة بوحدة الوجود ولا غرو في ذلك، فإنْ كان يرى الوجود كله حق فلا بد أن تكون الحقيقة تعني الوصول إلى هذه الوحدة، وكل ما في الوجود كله حقيقة[6].

لقد تناولت الدراسات الحديثة هذا المصطلح فلا نكاد نجد دراسة في التصوف إلا وتحدّثت عن نظرية الحقيقة المحمدية، فبات الدارسون يعرفونها كلٌ حسب فَهمه لها، لكن القاسم المشترك لهذه التعاريف أنّها تجعل

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 4837، ج6، ص135.

[2] د حسن، الشافعي، في التصوف الإسلامي، ص158 وما بعدها. بتصرف.
[3] الحكيم، المعجم الصوفي، ص354.
[4] المرجع السابق، ص355.
[5] المرجع السابق، ص،355.
[6] المرجع السابق، ص355.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

للنبي صلى الله عليه وسلم حقيقتين.

فهذا " وفيق سـليطين" يقول: "بأنّ الحقيقة المحمدية تقوم على: الاعتقاد بأنّ النبي محمدًا هو حقيقة ليس بشرًا وإنَّما هو نور أزلي أبدي في ظهري آدم، وصار ينتقل في الأنبياء من بعده حتى ظهر بصورة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم[1].

ويرى "عبدالله بنصر العلوي: " أنَّ الحقيقة المحمدية أساس الوجود فيقول: " بذلك تكون الحقيقة المحمدية تجليًا لذَّاتِ الإلهية، ويكون نورها أول الأنوار، فالحقيقة المحمدية أساس الوجود لولاها ما وسعت رحمته وجود كل شيء، ولَمَا فتق الغيب حتى ينطق العالم بلا إله إلا الله، ولَمَّا أشرق نور العقل نبتت أرض بور"[2].

ويبدو من هذا التعريف أنَّه يجعل النبي صلى الله عليه وسلم أصل الموجودات، وليس فقط نورًا أزليًا ظهر مع خلق آدم أو قبله، ولنوره سجدت الملائكة لمّا تشعشع في جبين آدم، وإنما تجاوز ذلك ليقول بأنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم هو أصل كل شيء موجود في الكون.

فمن خلال هذه التعاريف فإننا نرى أنها تدور في فلكين اثنين ونقطتين وهما:

1- النبي محمد صلى الله عليه وسلم نور أزلي قديم وُجِدَ قبل آدم عليه السلام، ومن هذا النور انبثق الأنبياء الكرام.
2- كائن حي مُحْدَث وُجِدَ في مكان وزمان محدَّدَين.

المطلب الثاني: الحقيقة المحمدية في التراث الصوفي وأول القائلين بها:

إنَّ الصوفية الأوائل أمثال الحسن البصري والفضيل بن عياض وغيرهم من الصوفية الذين امتازوا بالإتباع دون الابتداع لم يكن يصدر من أقوالهم أو أفعالهم ما يشير إلى بدء ظهور الانحراف أو الشطوح الصوفي، ولكن أجمع معظم المؤرخين للصوفية على بداية الشطوح في منتصف القرن الهجري الثاني على يد رجل نعرض جزء من حياته وأقواله التي كانت بداية أو تمهيدًا للقول بحقيقة الوجود أولا، والتي اقتضت منها القول بالحقيقة المحمدية .

أما عن أول مَن قال بالحقيقة المحمدية فتذهب أغلب الدراسات إلى أنّ الحلاّج هو أول مَن وضع أسسها فالدكتور عبدالله بنصر يقول: "قد أشار الحلاّج إلى أنّ لمحمد صلى الله عليه وسلم حقيقتين [3]. وهو نفس ما ذهب إليه عبد الكريم قاسم سعيد: "كان للحسين بن منصور الحلاّج أكبر الأثر في وضْع أساس هذه النظرية"[4].

الحلاج: الحسين بن منصور الحلاج.. ولد في مدينة البيضاء إحدى مدن فارس سنة244ه، ونشأ وتربَّى في مدينة واسط في العراق، وقد اتَّصل وهو في السادسة من عمره بسهل التستري وقضى في خدمته عامين، ثم تتلمذ على يد الجنيد، وقد عرف عنه التصوف الإتباعي في بداية الأمر، ثم ما لبث أنْ نطق بكلمات كانت هي الفاتحة لطريق الهاوية، لقد أعلن الحلاج _ وهو الأول_ الذي صرح بذلك أنَّه اتَّحد بالذات الإلهية ورغم أنّه وهذه الذات أصبح شيئًا واحدًا فقال مقولته المشهورة (أنا الحق) وهو بذلك يصرح بعقيدة حلول الله في الإنسان واستحالة الإرادة الإنسانية إلى الإلهية؛ بحيث يُصبح كل ما يصدر عن الإنسان من فعل هو فعلا لله تعالى... ولكنه أحيانا يرى تردده في إثبات هذا الحلول والامتزاج ونفيه يتضح ذلك من قوله:

مزجت روحك في روحي كما * تمزج الخمرة بالماء الزلال**
فإذا مسك شيء مسني * فإذا أنت أنا في كل حال**

---

[1] سليطين، الشعر الصوفي بين مفهومي الانفصال والتوحيد، ص113.
[2] العياشي، المتصوف الأديب الدكتور عبدالله بنصر العلوي، ص249-250.
[3] العياشي، المتصوف الأديب الدكتور عبدالله بنصر العلوي، ص247.
[4] سليطين، الشعر الصوفي بين مفهومي الانفصال والتوحيد، ص113-114.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

وينفي ذلك في قوله: **أنا سر الحق ما الحق أنا *** بل أنا حق ففرق بيننا**
أنا عين الله في الأشياء فهل * ظاهر في الكون إلا عيننا.** [1]

ومن هنا يتبين وجود تناقض في أقوال الحلاج واختلاف بها، أدّى إلى حيرة مَن بعده في عقيدته، ولكن المهم عندنا هو بداية ظهور وحدة الوجود والاتحاد بين الله والبشرية التي قال بعدها بالحقيقة المحمدية وهي عند الحلاج على صورتين مختلفتين:

الصورة الأولى: نور أزلي قديم وجد قبل الأكوان، وقد انبثقت المخلوقات علوًا وسفلًا حتى آدم نفسه ولو كان أبًا له في الزمان المحدد، إلا أنه ابن له من حيث الوجود كما في الحديث: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين[2].

الصورة الثاني: صورته ككائن مُحْدَث وجد في زمان ومكان محددين وأدَّى رسالة النبوة وكمال العلم. [3]

"وقد رسم الحلاج صورة الشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وضمَّنها حقيقة الوجود القديمة ثم حقيقة الوجود الجسدي الذي قال به". [4].

وقد تحدّث الحلاج عن هاتين الحقيقتين في كتابه الطواسين ومما قاله: "أنوار النبوة من نوره برزت وأنوارهم من نوره ظهرت وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم في القدم سوى نور صاحب الكرم ، همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم واسمه سبق القلم؛ لأنه كان قبل الأمم والشيم...هو سيد أهل البرية أحمد ونعمته أجود وصفاته أمجد وهمته أفرد"[5].

من الواضح أنّه من خلال النص الذي أوردناه أنّ النظرية الحلاجية تنادي بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم صورتين مختلفتين: الأول وهي صورته نورًا قديمًا ومنه استمد كل علم وعرفان، ومصدر الخلق والموجودات من نوره طهرت أنوار النبوات لتكون كاملة في سيدنا محمد خاتم الأنبياء، أما الصورة الثانية أنه كان محدثًا تعين وجوده في مكان وزمان معين[6].

وقد قال المؤرخ نيكلسون" " إنَّ الحلاج بقوله ذلك أصبح أول من قال بالحقيقة المحمدية، وعبّرَ عنها تاريخ الصوفية وكانت أقواله تلك بمثابة البذور الأولى التي ألقي بها على أرض خصبة لمن بعده بالقول بما قاله، ولكن الجدير بالذكر أنَّ الحلاج لقي مصرعه لقاء ما قاله ذلك (أصدر ضده داوود الأصفهاني الظاهري فتواه، التي على أثرها قُبِض على الحلاج للمرة الأولى، ثم فر من السجن، وفي سنة ٣٠١ه قُبِض عليه للمرة الثانية وحُكِم عليه بالإعدام فضُرِبَ بالسياط وقُطِعَت يداه ورجلاه، وفُصِلَ رأسه ثم أُحْرِقَت أشلاؤه بالنار، وألقي رفاته في نهر دجلة..)[7] ولم يتراجع الحلاج عما قال، وبقيت كلماته محل خوف بسبب النهاية التي لقيها طي الغفلة فترة، حتى جاء من أيقظها وهذَّبها وأعاد لها الحياة مرة أخرى .

من المعلوم أنّ الحقيقة المحمدية قد ابتدعت في القرن الثالث الهجري، والمهم أنَّ الحلاج من أوائل الذين نطقوا بهذه النظرية، فقد جعل للنبي عليه السلام حقيقتين إحداهما قديمة وهي النور الأزلي الذي استمدت منه الأكوان كل علم وعرفان والأخرى حادثة وهي الرسالة المحمدية التي وجدت في مكان وزمان معين[8].

وقد استمر وتطور الحديث عند المتصوفة في الحقيقة المحمدية في أدبياتهم وفلسفاتهم، ولكن حضورها لم يحض بكبير اهتمام إلا في أواخر القرن السادس الهجري حين بزغ نجم الشيخ محي الدين ابن عربي الحاتمي

---

1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج11، ص53. وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص314. وانظر التصوف الإسلامي ماله وما عليه، ص٧٩ وما بعدها.
2) الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، ج1، ص473.
3) عاصي، التصوف الإسلامي مفهومه وتطوره ومكانته من الدين، ص١١٥. وانظر: التصوف الإسلامي ماله وما عليه، ص٧٩ وما بعدها.
4) الدكتور حسن الشافعي، في التصوف الإسلامي، ص١٨٩. ابن عربي، الطواسين، ص٤٢.
5) الحلاج، الطواسين ، ص112-114.
6) العدلوني، معجم مصطلحات التصوف الفلسفي، ص86.
7) الدكتور حسن الشافعي، في التصوف الإسلامي، ص٧٩.
8) العياشي، المتصوف الأديب الدكتور عبدالله بنصر العلوي، ص12.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الذي بلغ بالتصـوف شـأنه فكان " أهم مَن قال فكرة الحقيقة المحمدية، وجعل منها نظرية صـوفية فلسـفية في الوجود[1]. ولهذا جعله بعض الدارسين أول مَن قال بالحقيقة المحمدية[2].

ابن عربي: إنَّ خير من كتب عن ابن عربي وأخرج كتاباته إلى النور بعد ترتيبها وشرحها والتعليق عليها، كان الدكتور أبو العلا عفيفي؛ حيث حقق كتاب فصوص الحكم لابن عربي، والذي شرح لنا أقواله ونظرياته التي يُعتبر المؤسـس الحقيقي لكثير من النظريات الصـوفية ويعرفه فيقول: (ولد محمد بن علي الملقب محي الدين بن عربي سـنة 560 ه، ولم يكن مُجرد فيلسـوف عربي صـوفي؛ بل كان من أرباب المواجد والأذواق تكلم بلسـان الكشـف والإشـراق، كما تكلم بلسـان العقل فجمع بين القول بوحدة الوجود والقول بوحدة الشـهود، وهذا ما يحيرنا فيه فيرى أنَّ الوجود بأسـره حقيقة واحدة ليس فيها ثنائية، ولا تعدد على الرغم مما يبدو لحواسـنا من كثرة الموجودات في العالم الخارجي وما نقرة بعقولنا من ثنائية (**الله والعالم**) أي الحق والخلق وهما اسـمان لحقيقة واحدة إذا نظرت إليها من ناحية وجدتها تسـميتها حقا، وإذا نظرت إليها من ناحية تعددها تسـميتها خلقا ، ولكنها في النهاية أسماء لحقيقة واحدة. [3]

ونجد في كتاب ابن عربي في الفتوحات المكية ما يؤيد أقواله في فصوص الحكم الذي أورد فيه فصًا أسماه "الفص المحمدي" يُؤكِّد به الحقيقة المحمدية التي قال بها الحلاج، ولكن ببعض من التغيير الذي جعله ابن عربي خوفًا من أن تنتهي بـه مقالاتـه تلك إلى مـا انتهى إليـه الحلاج إذ يقول في الفتوحـات: "إن الموجود الحقيقي هو الحقيقة الكلية وهي التي تهب الوجود لما عداها وهذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية" [4]، ومن الواضح في العبارة السابقة أنَّ ابن عربي كان كما وصفه نيكلسون بأنَّه المؤسس الحقيقي للنظرية المحمدية التي أثبتها من خلال قوله بوحدة الوجود والتي صـرح بها في كتب مؤلفة ولم تكن مقولات أو أشـعار فقط فهو قد تأثر بالحلاج ومن بعده ولكن العلم لم يخرج إلى حيز النور إلا على يد ابن عربي .

إن القارئ لتراث ابن عربي يرى فكرًا غريبًا وفلسـفة لم تعرف بها العلوم العربية قبله، وأكتفي بتوضـيح فكرة الوجود التي قال بها والحقيقة المحمدية التي رأت النور على يديه وسـار بها بعده عدد من الصـوفية الذين اعتبروا الحلاج أولًا ثم ابن عربي ثانيًا، المؤسـسين الحقيقيين للتصـوف الفلسـفي الذي بدا يخرج عن التصـوف السـني الذي عرفه المسـلمون في القرون الأولى من الإسـلام، والجدير بالذكر التنويه بذكر بعض الأسـماء التي شـاركت في إثراء الحقيقة المحمدية والقول بوحدة الوجود ومنهم عبد الكريم الجيلي (توفي سـنة 805 ه)، الذي وضـع نظرية الإنسـان الكامل الذي تأثر بفكر ابن عربي والحقيقة المحمدية[5]، وقد أنشـأ ابن الفارض نظرية القطب أو القطبية وهي تعني أن للكون قطب يدور حوله تفرع عنه باقي الأقطاب وهي عند أزلية ولولاها لما كان مخلوق فهي أول إبداع الله أو الفيض الأزلي الذي خاطبه الله بقوله: **"لولاك ما خلقت الأفلاك"**[6]، ومحمد عليه السلام هو قطب الأقطاب الذي لم يتقدم عليه أحد ولم يترق من الأبدال حتى صار قطبا ولكنه قطب منذ القدم.

ثم سار من بعدهم عدد من الصوفية الذين تأثروا بالثلاثة المحاور الأساسية التي اكتملت بها قول الصوفية بالحقيقة المحمدية.

ويظهر لنا أنّ ابن عربي قد بلغ بنظريته الحقيقة المحمدية الذروة والمقام الأكبر، كما بلغه بالتصوف حتى لا يكاد يُذكر التصوف إلا وذُكِرَ معه بن عربي، كما أنه يرى أنّ الأنبياء ما منهم من أحد إلا وأخذ من مشكاة خاتم النبيين، فهو يُصَـرّح بِقِدَم النور المحمدي وهو المادة الأولية التي انطلق منها الأنبياء، ومن ثَمَّ الأولياء بعد ذلك، إنّ الملائكة لم تسجد لآدم إلا بعدما شعشعت أنوار الشموس المحمدية في أفق جبين آدم عليه السلام[7].

---

1) المرجع السابق.
2) عبد الخالق، الفكر الصوفي الكتاب والسنة، ص105.
3) ابن عربي، فصوص الحكم، ص 66.
4) ابن عربي، الفتوحات المكية، ص١١٩.
5) التصوف الإسلامي ماله وما عليه، ص٩١ وما بعدها.
6) الشوكاني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 18، ج1 ص326، قال الصنعاني الشوكاني، الحديث موضوع، وانظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث رقم 282، ج1ص450.
7) عزيز النصر، العلاقة بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل عند الشاعر محي الدين ابن عربي، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مجلة

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فمن هنا قام ابن عربي بالتفريق بين الكينونة المادية والكينونة الروحية لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو يرى أنَّ الأولى هي اسم لآدم عليه السلام، أما الثانية فهي النور الأزلي الذي بزغ منه آدم عليه السلام، ورشف منه جميع الأنبياء، وبذلك تكون الكينونة الروحية قديمة والكينونة المادية مُحْدَثة[1].

وعمومًا ما يمكننا إجماله من خلال ما سبق ذكره أنَّ النظرية المحمدية عند ابن عربي يمكن أن نستخلصها في أمور: إنّه مبدأ الخلق وأصل الكون، وإنّه الصورة الكاملة للإنسان الكامل، وإنّه المشكاة التي استقى منها جميع الأنبياء رسالاتهم ثم الأولياء من بعدهم[2].

إن معنى الحقيقة المحمدية عند الصوفية بشكل عام يدور حول ثلاثة معاني.

المعنى الأول: إن لمحمد صلى الله عليه وسلم حقيقتين أو وجودين، إحداهما قديمة أزلية وهي حقيقة نورانية أو روحانية أو ما يُطلق عليه بالنور المحمدي، أو النور الأزلي الذي كان قبل الأكوان...وهي باقية إلى ما شاء الله تعالى، لا تنتهي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولهم في ذلك أدلة نبينها في الفصل القادم...

وحقيقة أخرى حادثة تتمثل في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث بآخر الرسالات والذي وجد في زمان ومكان معينين أو ما يطلق بالحقيقة الشهودية [3]

المعنى الثاني: إنَّ الحقيقة المحمدية هي مبدأ خلق العالم أو الوساطة في خلق العالم، بمعنى أنها النور الذي خلقه الله قبل كل شيء، وخلق منه كل شيء، ويرتبط هذا المعنى عند الصوفية بقولهم **بوحدة الوجود** إذ أنَّ الحقيقة المحمدية تمثل أول التجليات الإلهية في صورة الوجود؛ حيث ظهر "جميع ما في الصورة الإلهية من الأسماء في هذه النشأة الإنسانية فحازت رتبة الإحاطة، والجمع بهذا الوجود وبه أي بالإنسان الكامل قامت الحجة لله تعالى" وهي بهذا المعنى هي العقل الإلهي الذي تجلَّى الحق فيه لنفسه في حالة الأحدية المطلقة فهي تعتبر أكمل مجلي من مجال الوجود ظهر فيه الحق تعالى [4].

المعنى الثالث: إنَّ الحقيقة المحمدية كما أنَّها أصل لكل الوجود _ على حد قول الصوفي_ فهي أيضا مصدر كل علم وعرفان... حيث يعتبرها فلاسفة الصوفية منبع العلم الباطن الذي يستمد منه الأنبياء والأولياء علمهم ...فالحقيقة المحمدية ليست فقط أول تعيين من التعيينات الوجودية الذي تفيض عنه الموجودات، وإنما هو مصدر لكل الأديان والشرائع إذ أنَّ الأنبياء والرسل جميعًا يتلقون أنوار نبوتهم من الحقيقة المحمدية [5].

المبحث الثاني: الحقيقة المحمدية أسباب نشؤها وأدلة القائلين بها

المطلب الأول: الأسباب التي أدَّت إلى نشوء الحقيقة المحمدية عند الصوفية والقول بها

لكل سبب مسبب فلم تنشأ الحقيقة المحمدية عند الصوفية من فراغ، ولكن هناك أسباب أدَّت بالقائلين بها إلى ذلك القول، فقد بدأت بذور هذه الفكرة تتكون في بداية شطوح الصوفية[6]، وخروجهم عن إتباع الشريعة الإسلامية الصحيحة، حاولت أن أحصر بعضها منها حسب ما قرأته عن الحقيقة المحمدية وما ذكر أيضًا عنها.

السبب الأول: ظهور وحدة الوجود عند الصوفية: وهي التي تقوم على التسوية بين الخالق والمخلوق، أو بين الله تعالى والعالم بكل ما فيه من بشر وحيوانات وجمادات، وأنَّه لا موجود على الحقيقة إلا الله، فهو وجود واحد فالخلق هم مرآة لوجود الله إذ أراد أنْ يُعْرَف، فخلقَ الخلق والإنسان جميعًا ليرى نفسه في صورة تتجلى

27عدد 2، ص375.

[1] مرسلي، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة، ص119.

[2] مرسلي، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة، ص119.

[3] ابن عربي، ص 319.

[4] ابن عربي، فصوص الأحكام "الفص المحمدي": ص50.

[5] ابن عربي، فصوص الحكم: "الفص المحمدي": ص63-64.

[6] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص36. وانظر: بدوي، عبدالرحمن، شطحات الصوفية، ج1، ص9.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فيها أسماؤه وصفاته، فإذا نظرنا إلى الموجودات من حيث ذاتها فهي الحق وهي الله، وإذا نظرنا إليها من حيث صفاتها فهي الخلق [1]. وقد نشأت هذه الفكرة في أواخر منتصف القرن الثاني من الهجرة على يد **الحلاج** بشكل نظري، ثم اكتملت ونضجت على يد ابن عربي المؤسس الحقيقي لهذه النظرية، كما سيتبين ذلك في المبحث القادم إن شاء الله تعالى، وكان لهذه النظرية بداية القول بأنَّ النُّور المحمدي هو السابق على كل الموجودات التي ظهر فيها تجلي لأسماء الله وصفاته إذ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد حظي من المكانة المتميزة عند ربه وأنَّه خاتم الأنبياء والمرسلين، ما دفع الصوفية إلى تشكيل تلك البذرة على يد الحلاج [2].

السبب الثاني: حب النبي صلى الله عليه وسلم والفناء في هذا الحب:

كان لشدة حب الصوفية للنبي صلى الله عليه وسلم والذوبان في هذا الحب، وكثرة الروايات التي تتحدث عن هذا الحب التي وصلت إلى حد اتِّحاد بين الصوفي وبين النبي صلى الله عليه وسلم، والفناء فيه ولم يكتفوا بإتباع سنته وتقليده عليه الصلاة والسلام في عباداته وخلواته التي كانت بينه وبين ربه؛ بل اشتاقت نفوس بعض الصوفية إلى دوام حضوره معهم ومشاركته لهم في منامهم، وزعمهم رؤيته في حالات النوم واليقظة كذلك، ولكن الأغلب يكون في النوم وقد بالغ بعضهم في ذكر رؤيته للنبي عليه الصلاة والسلام بأنَّه إذا رأى الله في المنام فلا يراه مباشرة بل بواسطة نور وروح محمد عليه الصلاة والسلام [3]. يقول أحد الصوفية وهو فريد الدين العطار: "إنَّ الله تعالى إذا أنعم على أحد من المسلمين برؤيته، فإنَّ هذه الرؤية لا تحصل له من ذاته، بل بواسطة روح ونور محمد عليه الصلاة والسلام"[4]، وهذا يؤكد حب الصوفية للنبي عليه الصلاة والسلام والمبالغة في هذا الحب الذي عبَّروا عنه بالأناشيد والشعر الذي سرعان ما انتشر كقصائد مديح للذات المحمدية أو لحب النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد قال بعضهم بوجود اتصال روحي بين الصوفي وبين النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إنَّ العلم الذي يأتيه من فيض علم النبوة التي يمنحها النبي عليه السلام لأصحابه ومن أقوالهم: (لم يمت محمد، وإنما الذي مات هو استعدادك لأنْ تراه بعين قلبك)[5]، ومن هذه الأقوال التي تفيض فيها كتب الصوفية من القول بحب النبي عليه السلام وعشقه ورؤيته والاتحاد به والحديث معه، كل هذه الأجواء كانت تمثل أرضًا خصبة لبذر بذور الابتداع أو ما يُسمى عند الصوفية المتبعين بالشطوحات ومنها الحقيقة المحمدية. فقد تحول هذا الحب إلى عشق وتفاني به، ثم اتحاد ثم حلول ثم مخاطبة الله تعالى بواسطة النور المحمدي كما ذكرت سابقًا، وكلها شطوحات بدأ بها الحلاج ثم اكتملت على يد ابن عربي كما سيتبين لاحقا.

السبب الثالث: تفسير آيات القرآن الكريم بالتأويل والأحاديث النبوية الشريفة

منذ بدأ الإسلام ونزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدأ تفسير القرآن من واقع حياة المسلمين وأسباب النزول، وغيرها مما عرف بعد وفاة النبي عليه السلام من علم للتفسير التي اتفق عليها معظم علماء المسلمين، ثم بعد مضي السنوات في عهد الخلفاء الراشدين عمد المسلمون إلى سؤالهم بما استشكل عليهم فهمه من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، وتوالى المسلمون على ذلك في عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، وإلى هذا الحد لم يكن هناك أي خطأ في فهم كتاب الله تعالى أو أي حديث نبوي شريف.

وعند بداية ظهور الفِرَق الصوفية التي ورثت على حد قولهم ميراث النبوة من الأخلاق والدعوة والبيان للدين الإسلامي أخذوا يُفَسِّرون القرآن الكريم _ بعض من آيات القرآن الكريم _ بما يتناسب مع شطوحاتهم الفكرية، وبدأ يظهر عندهم ما يعرف بعلم الباطن أو التأويل، وقد قال الصوفية إنَّ لأي علمٍ وجهان أو ظاهرتان،

---

[1] د حسن الشافعي، في التصوف الإسلامي، ص 168.
[2] الحلاج، الطواسين، ص 129 وما بعدها...
[3] د حسن الشافعي، في التصوف الإسلامي، ص 164.
[4] المصدر السابق، ص 164.
[5] د حسن الشافعي، في التصوف الإسلامي، ص 164.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

وجه للعموم يفهمونها من ظاهر لفظِ الآيات على قدر علمهم، وهم العامة من المسلمين ويستعين بهذا العلم أهل الفقه وعلماؤه لتعليم عامة الناس شرائع الدين وتعاليمه، وهو يعرف بعلم الظاهر.

أما العلم الخاص والذي يكون من خلال تأويل الآيات أو علم الباطن، فقد اختص به الصوفية، وهو درجات حتى يصلوا إلى خاصة الخاصة من الصوفية، وظهور هذا العلم جعل لتأويل الآيات من القرآن الكريم أو السنة الشريفة الذي كان يبحث عنه الصوفية ليجدوا لهم مرجعًا شرعيًا يستندون به في أقوالهم أو حتى شطوحاتهم، وعلم التأويل كان الأرض الخصبة لنشوء هذه الظواهر والشطوحات، والتي ستتبين بشكل أوسع عند الحديث عن أدلة الصوفية على قولهم بالحقيقة المحمدية [1].

المطلب الثاني: أدلة القائلين بالحقيقة المحمدية، والرد عليها:

من القرآن الكريم

الدليل الأول: قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً } (الأحزاب:72)؛ حيث يفسر ابن عربي الأمانة التي حملها الإنسان هي الصفات الإلهية التي تتجلى في الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية، والتي من أجلها سُمِّيَ الإنسان الكامل بخليفة الله في الأرض، ويرى أيضًا أنَّ الأمانة في هذه الآية هي الإرادة الإلهية التي تحققت بإظهار مخلوق يَعْرِف الله حق معرفته ويظهر كمالاته وهو الإنسان الكامل، ولا يختلف ابن عربي عن الحلاج في تفسيره للأمانة حيث يقول الحلاج آنها تعني الناحية الإلهية من الإنسان[2].

وهذه الآية وان كانت من الآيات المتشابهة إلا أنه يتفق عدد كبير من المفسرين في القول بأنَّ المقصود بالأمانة هو الطاعة[3] والتكاليف من الأوامر ونوافل أو فرائض الله تعالى[4] .

الدليل الثاني: قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ } (البقرة:31)؛ حيث يقول ابن عربي في تفسيرها أنَّ المراد بآدم هو الإنسان الكامل، {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا} (البقرة:31)، أي أظهر فيه الصفات والكمالات الإلهية التي من أجلها صحَّت له الخلافة، وأنَّه ما صحَّت الخلافة إلا لهذا الإنسان الكامل والذي في نظر ابن عربي هو الحقيقة المحمدية أو آدم الحقيقي، ومن ثَّمّ فإنَّ الله تعالى قد أنشأ صورة الإنسان الكامل الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى، كما يرى ابن عربي أنَّ آدم كُنِّيَ بمحمد خاتم الأنبياء وقيل كنيته في الجنة أبو محمد[5]، ويُبَين أنَّ الحقيقة المحمدية أول دليل على ربها؛ لأنّها المظهر المعقول الجامع لجميع حقائق الأسماء الإلهية البادية في الجنس البشري بل في العالم كله، وأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم أو "الحقيقة المحمدية" أول دليل على ربه؛ لأنه الصورة الجامعة التي تتجلى فيها كل هذه الكمالات وأظهر فيه معاني الأسماء كلها، ولذلك فقد أعطى محمد (الحقيقة المحمدية) حقائق تلك الأسماء أو جوامع الكلم، فإذا كان آدم هو الإنسان الظاهر المتعين بالوجود الخارجي في صورة أفراده، فمحمد هو الإنسان الباطن المتعين في العالم المعقول[6].

يقول ابن عربي: "وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المدد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حيث النشيء الإنساني إلى يوم القيامة"[7].

ويرى البعض أنَّ متأخري الصوفية من أصحاب النظريات الفلسفية قد لجأوا إلى الحديث قدسيًا أو نبويًا أو

---

1) الدهش، الأقوال الشاذة في التفسير، ص165.
2) الفقيهي، نظرات في الإسلام، ص36.
3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص431.
4) الطبري، تفسير الطبري، ج20، ص336.
5) ابن عربي، فصوص الحكم، ص55. وانظر: أبو العلا، من أين استقى ابن عربي فلسفته الصوفية، بمجلة كلية الآداب جامعة فؤاد، مجلد 1، ج1، مايو سنة 1933م، ص 87.
6) ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص231.
7) أبو العلا، من أين استقى ابن عربي فلسفته الصوفية، بمجلة كلية الآداب جامعة فؤاد، مجلد 1، ج1، ص 87.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

محرفًا أو موضوعا، لتبرير ذلك الاتجاه المنحرف الذي ظهر في نظرياتهم في الحقيقة المحمدية أو قطبية الإنسان الكامل، في محاولة للتوفيق أو التلفيق بينها وبين القرآن والسنة، التي لا نجد لها أصلا قيمًا كما الذهب. أصحاب هذا الرأي غير أنَّهم أوَّلوا المواقف تخريجًا لهذه النظريات التي جاءتهم من خارج البيئة الإسلامية.[1]

الدليل الثالث: **قال تعالى:{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً } (الكهف:109 .(**

يفسر ابن عربي هذه الآية بقوله: إن كل نبي من الأنبياء يسمى كلمة، ويطلق اسم (**الكلم**) وهي جمع كلمة على الأنبياء، إلا أنه يختص الحقيقة المحمدية فقط بلفظ (**الكلمة**) معرفة باللام والألف استنادًا إلى الآية السابقة. وفي الواقع أنَّ ابن عربي يطلق لفظ كلمة على كل موجود من الموجودات[2]. ذلك لأنَّه يرى أنَّ كل موجود في هذا الكون يمثل مجلي من مجالي الكلمة الكلية الجامعة لأنَّ الكون في نظره، هو مجموعة كائنات ناطقة ويستشهد على ذلك بالآية السابقة[3]، ويرجع السبب في إطلاق ابن عربي لفظ الكلمة على الحقيقة المحمدية خاصة عنده أنَّ الله تعالى يَخلق ما يريد بكلمة كن، فكان كل كائن كلمة من الله، وبما أنَّ الوجود مرتب عنده حسب درجة الكمال التي نالها كل موجود من حقيقة الحقائق، وذلك طبعًا لحقيقة كل موجود وطاقته في تلقي هذا الكمال، أو في كونه مجلى من مجالي الحق، فإنَّ أعلى هذه الكائنات مرتبة في الوجود هو الإنسان الكامل، وأفضل أفراده هم الأنبياء والأولياء، ثم أكملهم على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم الحقيقة المحمدية، ومن ثَمّ اختصت الحقيقة المحمدية بلفظ الكلمة معرفة بالألف واللام[4].

من السنة الشريفة:

الدليل الأول: قال صلى الله عليه وسلم :(**كنت نبيا وآدم بين الماء والطين**) [5].

لقد رتَّب الصوفية القول بقدم الحقيقة المحمدية استنادًا إلى هذا الحديث الذي يقول بقدم خلق النور المحمدي لدى الحلاج، ثم ابن عربي الذي قال قبل خلق جسد آدم إذ أنَّ أول شيء خلقه الله هو الروح المحمدي أو النور المحمدي، الذي ظهر بصورة آدم ثم بصورة كل نبي بعده حتى ظهر أخيرًا في صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم نفسه، فالنور المحمدي هو الذي نفخ فيه الله روح آدم [6].

ابن الفارض يرى أنَّ الروح المحمدي القديم جامعًا لكل أرواح الأنبياء وعنه صدرت، ويترتب على ذلك أنْ تكون منزلة نبوة محمد، كمنزلة نبوة أي نبي آخر في الروح المحمدي أو المعنى المحمدي إلا أنَّ محمدًا النبي يَفْضل غيره في الأنبياء في أنَّه مُرسل من نفسه أي من ذاته القديمة الجامعة إلى نفسه باعتباره نبيًا ومرسلًا في حين أنَّ غيره من الأنبياء كان صادرًا عن ذاتٍ أخرى ذواتهم وهي هذا الروح المحمدي القديم الجامع [7].

ويقول ابن العربي حول هذا الحديث: " فكل نبي من لدن أدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإنْ تأخَّر وجود طينته فإنَّه بحقيقته موجود وهو قوله " كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين وغيره من الأنبياء ما كان نبيا إلا حين بعث [8].

الدليل الثاني: حادثة الإسراء والمعراج

لقد كان لهذه الحادثة أثرها الكبير في ترسيخ الحقيقة المحمدية عند الفلاسفة الصوفية الذين يقولون بتلك الحقيقة، وذلك لاعتقادهم بأنّ النبي عليه السلام لمَّا عُرِجَ به إلى السماء تلقَّى من أمر ربه ما خَفِيَ عن جميع

---

[1] د. محمود، الفلسفة الصوفية، ص 42، 44، 53، 63، 71.
[2] ابن عربي، فصوص الحكم، ص187.
[3] ابن عربي، فصوص الحكم، الفص المحمدي، ص337.
[4] ابن عربي، فصوص الحكم، الفص المحمدي، ص214- 226.
[5] الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420ه)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، ج1، ص473.
[6] نيكلسون، التصوف الإسلامي، ص 159.
[7] حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي، ص373.
[8] ابن عربي فصوص الحكم، الفص الشيثي، 63 ، 64.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الأنبياء والملائكة حتى عن جبريل عليه السلام نفسه، ومن ثَمَّ كان الإيمان به مقياسًا يُقاس به الإيمان بالله عز وجل الموصل إلى الله تعالى، وذلك لعدة أسباب منها[1]:

1- إنها حادثة مسبوقة في تاريخ الرسل والأنبياء.
2- لقد أمَّ الرسول صلى الله عليه وسلم الرسل والأنبياء في بيت المقدس قبل معراجه إلى السماء، واستدلوا بذلك على كمالته عليهم جميعًا.
3- استدعاء الله تعالى له في السماء، وتخطِّي الرسول عليه الصلاة والسلام للأرض والسماوات السبع ووصوله إلى مكان لم يصل إليه بشر، ومقاربته قاب قوسين أو أدنى دليلًا على تقدُّمِه في المنزلة على الرسل كجبريل عليه السلام، والأنبياء عليهم السلام.
4 – وصوله عليه الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى؛ حيث لم يَبلغ ملك ولا بشر هذه المكانة، يدل على أنه أقرب المقربين إلى الله تعالى.
5 – إنَّ المعرفة التي تلقَّاها عليه الصلاة والسلام في تلك الرحلة تختلف عن المعرفة التي تلقَّاها باقي الأنبياء عن ربهم، إذ تلقاها تلقي العين المباشرة، وعلم باطن لم يسبقه أو يعرفه أحد من قبل[2].

الرد على أدلة القائلين بالحقيقة المحمدية

من القرآن الكريم:

الدليل الأول :الذي أورده في قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} (الأحزاب:72)، إنَّ الأمانة التي استدل بها الحلاج وابن عربي في تفسيرهم لها بالناحية الإلهية في النفس الإنسانية تُخالف ما ورد في كتب المفسرين؛ فقد فسَّرها القرطبي: بأنَّ المقصود بالأمانة هي الطاعة أو التكليف من أوامر أو نواهي أو فرائض الله عز وجل[3]، ويقول ابن حزم: "إنَّ المقصود بالأمانة هي الشرائع التي أنزلها الله وأمر العباد القيام بها وترتَّب عليها الثواب والعقاب لأنَّ الإنسان له عقل وحواس ومُكَلَّف بخلافة السموات والأرض والجبال التي تخلو من العقل، فلا تكليف لها بل هي مخلوقات تُطيع أمر ربها لذلك لم تحمل الأمانة[4]، والمعنى الذي قال به المفسرون هو أقرب للقَبول والعقل مما قال به الصوفية والله أعلم..

الدليل الثاني: قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة:31)، اعتمد الصوفية على تفسير هذه الآية على تفسير معنى الكلمة لديهم، وهم يبنون تفسير على رأي لذلك اختلفوا مع المفسرين الذين ذهبوا في تفسير الآية إلى عدة آراء، إذ قال ابن عباس وعكرمة وقتادة: إنَّ الله تعالى علَّمه الأسماء كلها جليلها وحقيرها، ويقول القرطبي:" إن ّالله علم آدم أسماء الملائكة وذريته من البشر ويؤكد ذلك بقوله إنَّ أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام والآية تشهد بذلك واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته، وفي الحديث:(وعلّم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة)[5] وهذا القول الأرجح والله أعلم.

الدليل الثالث: **قال تعالى:{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} (الكهف:109)** يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (قل يا محمد لو كان البحر مدادًا للقلم الذي يكتب كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفذ البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك(ولو جئنا بمثله مددا)، أي بمثل

---

[1] د. عبد الحليم محمود، القرآن والسنة، ص 266-267.
[2] فصوص الحكم ص64. نيكلسون، في التصوف الإسلامي، ص 163.
[3] القرطبي، تفسير القرطبي، ج14 ص253-257.
[4] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج1 ص477.
[5] تفسير القرطبي، ج1 ص284،282..

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمده لنفذت أيضًا قبل كتابة ذلك وفي هذا تصوير لقدرة الخالق . إذن كلمات الله هي حكمة وآياته الدالة عليه كما جاء في هذا التفسير آية الكون الكبرى بما فيه من مخلوقات لا تحصى ولا تعد وعلى رأسها آية خلق الإنسان ...) [1] والله أعلم.

أدلة السنة : قال عليه الصلاة والسلام (كنت نبيا وآدم ....) والثابت أنّ هذا لا يصح، والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إني عند الله لمكتوب خاتم النبين وإنَّ آدم لمنجدل في طينته) [2]. وتخريجه أي: كُتِبَتْ نبوتي وأُظْهِرَتْ لما خُلِقَ آدم قبل نفخ الروح فيه، وكما يُكْتَب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد إذا خُلِقَ الجنين قبل نفخ الروح فيه[3]، وهذا الرأي هو رأي العلماء في ردِّهم على مَن قال بهذا الحديث والله أعلم...

الدليل الثاني: إنَّ استدلال الصوفية بحادثة الإسراء والمعراج على المعرفة النوعية للرسول عليه السلام ويؤكدون وجوده الأزلي بهذه الحادثة فإنه ضرب من التأويل يحمل وجهان:

الوجه الأول : إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد انفرد على باقي الأنبياء والمرسلين بهذه الحادثة نظرًا لتفرُّدِه على باقي الأنبياء والمرسلين بالمكانة عند الله تعالى لا بقدمه عند الله تعالى كما أشار بهذا فلاسفة الصوفية ..

الوجه الثاني: إنَّ المعرفة التي تلقَّاها الرسول عليه السلام من الله كانت بمنزلة التشريف له كخاتم للأنبياء والمرسلين، الذين بَشَّرو بقدوم النبي عليه السلام كما أشار بهذا النبي عليه السلام فيقول "أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى" [4]، وهذه البشارة تزيد من تأكيد رفعة مكانته عليه السلام لا قدم وجوده والله أعلم .

ومن الجدير ذكره في هذا الموضع أنّ الصوفية أنفسهم منهم مَن ردَّ على هذه الأدلة وضعَّفَ القول بالحقيقة المحمدية، ومنهم عبد القادر الجنيد رحمه الله الذي قال: "إنّ خطأ الحلاج لا يسده إلا رأسه"، ثم الغزالي الذي ألف كتابا في الرد على الفلاسفة وأقواله وهو كان من الصوفية البارزين، [5].

المبحث الثالث: ما ترتب على القول بالحقيقة المحمدية :

بعد الانتهاء من الحديث عن الحقيقة المحمدية عند فلاسفة الصوفية لا بد أن يكون لهذه النظرية آثارًا تترتب على القول بها، والحقيقة أنّ الأثر الأكثر بروزًا كان القول بوحدة الأديان التي أفرزتها الحقيقة المحمدية التي قالها الحلاج ومن بعده، وهذه نظرية جديرة بالدراسة والتمحيص في القول، وهي ليست وحدها بل من أخطرها، كذلك ترتب عليها القول بأفضلية الولاية على النبوة، والقول بخاتم الأولياء وتفضيله على خاتم الأنبياء وغيرها، ولكن سأتناول بالتوضيح القول بوحدة الأديان عند الصوفية ثم الرد عليها .

المطلب الأول: وحدة الاديان والرد عليها

يرى ابن عربي أنَّ الأديان واحدة، وإنْ تعددت صورها وأشكالها، لأنَّ الحق هو التجلي والمتجلي في الحقيقة، وتلك التجليات المتعددة تجليًا واحدًا لحقيقة واحدة فقوله:{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} (الإسراء: 23)، فكلمة قضى عندنا كما يقول بمعنى حَكَمَ، وعند مَن لا علم له من علماء الرسوم أمر، وبين المعنيين في التحقيق بون بعيد"[6].

ولذلك كل من عبد غير الله –في رأي ابن عربي- فعبادته صحيحة، وإنْ كانت تبدو في ظاهرها شركًا فما عبد من عبد غير الله إلا لهذا الحكم، فلم يُعْبَد إلا الله، وإن أخطأ في النسبة، إذا كان لله في كل شيء وجه خاص به... فما خرج أحد عن عبادة الله"[7]. لقد اتضح لنا من المباحث السابقة أنَّ فلاسفة الصوفية قد أرجعوا الأنبياء جميعًا منذ آدم وحتى عيسى عليهم السلام، إلى أصل واحد وهو الحقيقة المحمدية التي هي مصدر جميع النبوات

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1 ص750.
[2] ابن حنبل، مسند أحمد، ج28 ص379، والحديث صحيح لغيره.
[3] د حسن الشلفعي ، في التصوف الفلسفي، ص 201.
[4] ابن حنبل، مسند أحمد، ج28 ص379، والحديث صحيح لغيره.
[5] د حسن الشافعي، في التصوف الفلسفي، ص 201.
[6] ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1ص231.
[7] ابن عربي، الفتوحات المكية، ج5 ص366.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

والشرائع، وهي أيضًا مصدر كل علم ومعرفة، وعنها يَصدر أفراد الإنسان الكامل فكل الأنبياء إنما يتلقون أنوار نبوتهم من الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي جعل من التلقائية والطبيعة أن تتوحد العبادة عند الإنسان وإن اختلف نبيه ودينه وعقيدته وصور عبادته .

لقد كان الحلاج أول من بذر هذه البذرة [1]، إذ يرى أنَّ الأديان قد فُرِضَت على الناس لا اختيار منهم ، ولكن اختيار عليهم ، يقول الحلاج في ذلك:" الأديان كلها لله عز وجل شُغِلَ بكل دينٍ طائفة لا اختيار منهم بل اختيار عليهم، فمن لام أحد ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه، واعلم أنَّ اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة وأسامي متغايرة، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف"[2]، ويذهب ابن عربي إلى القول بوحدة الأديان كنتيجة مترتبة على قوله بالإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية؛ لأنَّ مصدر الأديان واحد وهو الحقيقة المحمدية، فالدين كله واحد وهو الله تعالى؛ حيث الأنبياء والمرسلين من آدم حتى عيسى هم نواب عن محمد الحقيقة "صلى الله عليه وسلم"، يقول ابن عربي: "فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين وان تأخر وجود طينته"، فإنَّه بحقيقته موجود وهو قوله (**كنت نبيا وآدم من الماء والطين**). ويرى ابن عربي أنَّ العارف على التحقيق هو مَن يَعبد الله في كل مجلي من مجاليه، فينظر إلى جميع الصور على أنّها معبرة عن حقيقة واحدة هي الله ويقول في ذلك[3] :

ويتفق كل من ابن عربي وابن الفارض في القول بأن تعدد الأنبياء وتباين الشرائع ليس إلا من حيث الصورة الظاهرة أو الشكل الخارجي، وأما من حيث الحقيقة فكل الأنبياء واحد وكذلك كل الشرائع واحدة، وهذا البيت الواحد هو محمد كما أنَّ هذه الشرائع الواحدة هي شريعة الخاتمة[4].

يقول ابن الفارض: " بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم القطب أو الحقيقة المحمدية، وانْ كان ابنًا لآدم حيث الصورة الجسدية أو النشأة العنصرية، إلا أنَّه أبٌ له من حيث المعنى الروحي القديم"[5].

فالإنسان الكامل هو الذي يحقق وحدة الأديان؛ حيث يسع قلبه كل صور الاعتقادات، ذلك لأنَّه أول فيض من الحقيقة المحمدية التي هي أول تجلي من تجليات الذات الإلهية لنفسها، حين شاء الحق تعالى أن يُعْرَف بأسمائه وصفاته لغيره، لذلك قال ابن عربي "إنَّ جميع الأديان لا فرق فيها بين وثنية وغير وثنية لأنَّه مجلي ومظهر للحق على أنَّه هو الحق ذاته إذ يفسر قوله تعالى:{اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ }(الفاتحة:6) أنَّه صراط الدين العام الذي هو أصل جميع الأديان[6].

ويتضح مما سبق من القول بوحدة الأديان عند الفلاسفة من الصوفية مساواة الإسلام بغيره من الديانات الأخرى، والتي وقف الإسلام منها موقفا صريحا أبينه في المبحث القادم.

الرد على القائلين بوحدة الأديان:

إنَّ القول بوحدة الأديان متشعب وواسع لأنَّه قول خطير ترتَّب عليه أمور عدة منها ما يلي :

أولا: من المُسَلَّم به في الشريعة الإسلامية أنَّ الدين الإسلامي جاء ناسخًا لما كان قبله من مسيحية أو يهودية، ومهيمنًا عليها فلا يُقبل دينًا غير الدين الإسلامي، فال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ} آل عمران19، والقول بوحدة الأديان مُخالفًا لما جاء في كتاب الله عن هيمنة الإسلام على باقي الأديان.

ثانيا: عندما أرسل الله الرسل والأنبياء كان لغاية وهدف: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ}(نوح:3)، وهو تصحيح الانحراف العقائدي أو تهذيبُ خُلُقٍ لدى قوم معينون، من أمثال قوم عاد وثمود وقوم لوط، ولم يكن الهدف من إرسالهم لإظهار الحقيقة المحمدية في صور جسمية مختلفة، بل كانت لكل نبي مهمة في قومه قال

---

[1] التفتازاني، مدخل إلى التصوف، ص 203.
[2] الحلاج، الطواسين، ص11، و54.
[3] ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1 ص 174.
[4] د. محمد مصطفى حلمي، ابن الفارض، ص 376.
[5] أبو ريده، التصوف الإسلامي ماله وما عليه ص 102 وما بعدها.
[6] العفيفي، من أين استقى ابن عربي فلسفته، ص43.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (نوح:1)، وكذلك باقي الأديان فإذا كانت عبادة الله على أي وجه مقبولة فما الغاية من إرسال الرسل والأنبياء للبشرية ؟

ثالثا: إنَّ القول بوحدة الأديان ينافي الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليهود والنصارى وما فعلوه بكتبهم من تحريف وتغيير، وما ترتب على ذلك من بطلان لهذا الدين من جراء ما فعله أصحابه، قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ } (البقرة:79).

رابعا: إذا كان الإنسان في عبادته لما يختاره ويهواه من معبود مقبول عند الله فَلِمَ خلق الله النار، ورتب على عبادته الثواب والجنة لمن أحسن هذه العبادة ؟ فالقول بالحقيقة المحمدية يتعارض مع الحكمة من خلق الله للجنة والنار والثواب والعقاب قال تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِّلْطَّاغِينَ مَآبا } (النبأ:21-22).

خامسا : إنَّ المتأمل للسيرة النبوية وما تَحَمَّله الرسول صلى الله عليه وسلم ومَن معه من الصحابة لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للناس عامة من مشاق وجهاد وغزوات ليُدْخِل الناس في دين الله أفواجًا، وليقضي عليه السلام على مَن لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية، يتعارض تمامًا مع القول بوحدة الأديان فَلِمَ كل هذه المشقة مادام الغرض من العبادة بأي صورة واحد ومقبول، وهذا يخالف العقل والواقع الإسلامي .

والحقيقة أنّ الرد عليهم يحتاج إلى صفحات كثيرة لما يترتب على قولهم هذا من تدمير للهدف من الإسلام وبعثة النبي عليه السلام وباقي الرسل، ونجد أنَّ ابن تيمية قد هاجم قولهم هذا ورد على قولهم بوحدة الأديان إذ يرى أنَّه مُخالف لدين المرسلين ولِما فطر الله عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويجدونه في أنفسهم، ذلك لأنَّ الله تعالى لا شريك له ولا يقبل من الأولين والآخرين إلا دين الإسلام، وأنَّ الرسل جميعًا دعَوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له واعتبروا كل عابد غير الله مشرك[1].

المطلب الثاني: القول بالولاية وختمها عند الصوفية، وعلاقتها بالحقيقة المحمدية

المطلب الأول: مسألة الشفاعة ودورها في الحقيقة المحمدية.

ومن المصادر الإسلامية التي يستند إليها فلاسفة الصوفية في قولهم بالحقيقة المحمدية مسألة الشفاعة المحمدية، والشفاعة هي إحدى أصول العقائد في الإسلام حيث من الواجب على كل مسلم أنْ يعتقد شفاعته عليه السلام يوم القيامة يوم يطول وقوف الناس في المحشر، فيتضرعون إلى الله أن يصرفهم من توقفهم ولو إلى النار[7]. وبما هو معروف وثابت لدى المسلمين أنَّ محمدًا هو الشافع ليس لأمته بل ولغير أمته لأفضليته السابقة على جميع الأنبياء، وبدليل القرآن في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلّم، قال تعالى: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً} (النساء:41) [8].

وقد ارتبطت مسألة الشفاعة بنظرية الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية؛ حيث اعتقد الصوفية أنَّ صلتهم بالنبي الشفيع أقوى من صلة الشيعة وأهل السنة به عليه السلام، من هنا جاء الشعور الشخصي العميق الذي شعر به بعض المتصوفة نحو النبي عليه والسلام[9]، فإذا كان أهل السنة يُعَظِّمون النبي عليه السلام كمثلٍ أعلى في الدين والأخلاق، وإذا كان الشيعة يُمَجِّدونه في أنفسهم فإنَّ الصوفية يُحبونه، والمحبة هنا فناء في المحبوب، ولذا كانت الحقيقة المحمدية هي المجلى الأعظم لتلك الصلة الخاصة التي يطلقون عليها اسم الولاية من حيث أنَّه عليه السلام يُمثل في نظرهم الإنسان الكامل الذي تجَّلت فيه جميع الصفات الإلهية، فهو ولي من حيث الباطن رسول من حيث الظاهر، ومقامه في الولاية أسمى من مقامه في النبوة، ولهذا اعتبر الصوفية أنفسهم خلفاءه كأولياء[10].

---

[1] أبو زيده، التصوف الإسلامي ماله وما عليه، ص 91، وما بعدها.
[7] نيكلسون، في التصوف الإسلامي، ص 164. وقوله هذا منقول عن كتاب الفضالي كفاية العوام في علم الكلام.
[8] الآلوسي، روح المعاني، ج3 ص34.
[9] نيكلسون، في التصوف الإسلامي، ص165.
[10] د. عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية ص 587- 588.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

بل يرى ابن عربي أنَّ منزلة الرسـول بسـبب الشـفاعة فاقت منزلة الملائكة، وهو لذلك أعلى المخلوقات جميعا يقول: **(ويؤذن له في الخطاب فيقوم خطيبا والملائكة صفوفا والخلائق وقوفًا، فيفتح خطبته بالشفاعة : ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص)**[10] .

المطلب الثاني: الحقيقة المحمدية بين النظرية الأفلاطونية وبين الصوفية المسيحية:

من الطبيعي أن تكون هناك صـلة بين الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي ونظرية الفيض أو الصدور عند أفلوطين ، وترتب الموجودات عن الواحد أو الأزل الموجود أسبقًا قبل كل الموجودات.

فالعقل الأول عند أفلوطين: هو أول فيض عن الواحد كما هو الحال عند فلاسـفة الصـوفية بالقول إنَّ النور المحمدي كان أول خلق الله ومنه فاضـت باقي المخلوقات، ومن نوره الذي فاض على باقي الموجودات بالخير والعلم والحقيقة كما هو الحال عند أفلوطين بالقول عن العقل الأول.

إنَّ أفلوطين يعتبر علة العالم وسـبب خلقه والمدبر للعالم والواسـطة بين الله والعالم أو العقل، والعالم كذلك عند فلاسفة الصوفية فإنّ النور المحمدي هو علة العالم والمدبر له والواسطة بين الله والعالم.

إنّ العالم فاض عن العقل الأول الذي أوجد باقي الموجودات من خلال الفيض، وكذلك النور المحمدي الذي فاض عنه باقي المخلوقات بل وأوجدت من أجل إظهار نوره الذي تجلى بدوره عن الذات الإلهية، وهذا ما وجد عند كلا الفئتين. إنَّ المتأمل بين أقوال فلاسـفة الصـوفية وبين نظرية الفيض الإفلاطونية يجد تشـابه يكاد يكون قريبًا جدًا فهل يرجع السبب إلى تأثُّر ابن عربي بفلاسفة اليونان التي ترجمت إلى العربية ؟ أم أنَّه تشابه وليد للصدفة.[11]

الحقيقة المحمدية والصوفية المسيحية

عند القيام بإعداد البحث حول الحقيقة المحمدية لفت انتباهي استدلال ابن عربي على تسمية النبي صلى الله عليه وسلم الكلمة، وباقي الأنبياء كذلك مستدلًا على ذلك بقوله تعالى: { إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ} (النساء:171) وربط بين الروح والكلمة التي هي من أمر الله.

من هنا جاء الربط الواضح الذي نبَّهنا إليه ابن عربي بين ما أطلقه فلاسفة الصوفية على النبي صلى الله عليه وسلم وبين ما قالته المسيحية عن عيسى عليه السلام، ونتج عن هذا الربط وجود صلة تشابه تكاد تكون متماثلة إلى حد بعيد بين القول بالحقيقة المحمدية وبين سر المسيح في المسيحية.

يقول صوفية المسيحيين عن وجود عيسى عليه السلام ما يلي:

إنَّ إنجيل يوحنا يؤكّد بشرية السيد المسيح وإلاهيته معًا، فلا تذوب عنه واحدة في الأخرى فهو ابن الله وابن البشر معًا فكيف يكون ذلك؟ ومن هنا يبرز سر المسيح التي تَجْمَع وتُوحِّد بين الله و إنسان في يسوع المسيح؟

إنَّ أنوار المسيحية في نشأتها والتي تَوَصَّل إليها بولس بعد معاناة طويلة وبوحي الروح القدس، إلى تفصيل الإنجيل بتفسير سر المسيح برسائله خصوصًا بالأناشيد الموجزة المعجزة التي دوَّنها في رسائله الصوفية إلى أهل فيلبي، وأهل كولوسـي، وأهل إفسـس؛ (حيث أوجز القول في سـر المسـيح بأنَّه ضـياء مجده، وصـورة جوهره)، فهو الابن على الإطلاق ليس على طريقة المخلوقين بل على طريقة الخالق: إنَّه ضـياء الذات الإلهية الفريدة منها وفيها، إنَّه صورة الجوهر أي ختم الذات الإلهية التي تقوم فيه .." [12]

إنَّ القاري للكلمات السابقة يجد وجه الشبه بين ما وصف ابن عربي النبي صلى الله عليه وسلم في الفص المحمدي، فهو من نور الله الذي به ومنه فاضت باقي المخلوقات، ولا يستطيع ابن عربي أن يقول أن محمدًا ابن الله لمخالفته الصريحة وكفره إذا قال ذلك بالتوحيد في الشريعة الإسلامية، إذ أن الله واحد أحد فرد صمد:{اللَّهُ الصَّمَدُ } (الإخلاص:2)، ولذلك قال ابن عربي بأنَّ أول ما خلق الله النور المحمدي ليكون أصل باقي مخلوقاته،

[10] ابن عربي، شجرة الكون ص20. ابن عربي، الفصوص، الفص الشيشي، ص 64.
[11] ابن عربي، فصوص الحكم ، الفص المحمدي، ص86.
[12] الحداد، صوفية المسيحية إنجيل توما، ص455.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

كما كان المسيح النور الإلهي لباقي مخلوقات أبيه على حد قولهم، يقول الإنجيل في وصف خلق المسيح:
" في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، والكلمة صار بشرًا" [13]، ويقول ابن عربي: "كان الله ولا شيء معه، فلما أراد وجود العالم وبدأه، انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجل من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية انفعل عنها حقيقة تسمى، والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية، فقبل منه الله تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده، فلم يكن أقرب إليه قبولا في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود، فكان وجوده في ذلك النور الإلهي، ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه). [14]

ومن ثم نلاحظ أنَّ نظرية الحقيقة المحمدية التي قال بها الحلاج أنّ له وجودين وجود أزلي منذ القدم ثم تجلى هذا الوجود وكان الوجود الجسدي التاريخي بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم يتطابق مع قول المسيحية "أن عيسى هو نور الحياة أو النور الحقيقي منذ الأزل، ثم كان الحدث الأكبر في تاريخ السماوات والأرضين والكلمة صار بشرًا فكان اسمه التاريخي والنبوي يسوع المسيح[15]. فصار لحمًا لا جسدًا، ثم هو برهان حقيقي على حقيقة التجسد واتخاذ كامل البشرية إذ لا يستحيل عقلا وكما هو الواقع أن يتخذ كلمة الله الذاتي طبيعة بشرية، مع طبيعته الإلهية، ويتَّحد بها كاتِّحاد الروح الإنساني بجسد، هنا وحدة إنسانية وفي تجسد كلمة الله الذاتي وحدة الإلهية وبشرية معًا في وحدة الذات وثنائية الطبيعة"[16]. ويتشابه قول المسيحية هذا بقول فلاسفة الصوفية في الاتحاد والحلول، إذ يزعمون اتحاد الذات الإلهية بالبشر عندما يصل المرء إلى مقام معين، وكذلك الحال في الحقيقة المحمدية التي أصلها حقيقة نورانية من ذات الله يتَّحد بها الصوفي إذا أمعن في العشق المحمدي .

تقول المسيحية الصوفية: "الحقيقة عينها هي الله نفسه في ذاته السامية، الله الأب، والمسيح الابن.

تجسدت الحقيقة الإلهية فيه، فظهر في الحقيقة والنعمة، وعرَّف بنفسه "أنا الحقيقة ". معرفة سر الله في معرفة المسيح، الذي فيه كنوز الحكمة والفيوض كلها، وسر المسيح في سر الله، إنه ضياء الذات الإلهية الفريدة منها وفيها، أي ختم الذات الإلهية التي تقوم فيه[17].

الخاتمة:

عند ختام الحديث عن الحقيقة المحمدية لا بد من تسجيل بعض النتائج والاستنتاجات والتي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع.

أولا: لا يخفى على أي مطلع على تاريخ التصوف أو علومه سواء كان مسلما أو غير مسلم ما للصوفية من تراث غني في مجالات متعددة، فهم لم يتركوا مجالا من مجالات العبادة أو العقائد إلا وقد خاضوها، متبعين تارة ومبتدعين لأنفسهم طرقًا وأفكارًا جديدة تارة أخرى، ولكنهم قد أغنوا العالم الإسلامي بتراث غني بالكثير والكثير من القيم الروحية السامية، ومن أشعار وأناشيد دينية تشتاق النفس إليها والأذن لسماعها واللسان لترديدها.

ثانيًا: لا يختلف اثنان من المُطَّلِعين على تاريخ الصوفية عبر القرون أنَّ هناك تغيُّرًا فكريًا رافق بعض الصوفية خاصة في نهاية القرن الثاني الهجري وما بعده، وكان هذا تغيرًا طبيعيًا لما كان سائدًا في تلك الفترة من نشوء فرق كلامية ودخول غير المسلمين في رحاب الإسلام، وتأثر البعض ببعض هذه الأفكار الدخيلة على العالم الإسلامي في عهد الفتوحات، ومن ثَم عهد الترجمة وازدهارها وخاصة ترجمة الفلسفة اليونانية، وما تحمله من إمعان للعقل في عالم الغيب فكان للصوفية حظًا كما كان لغيرهم حظًا من التأثُّر بما يدور في رحى العالم الإسلامي وقد اتَّضح هذا جليًا خلال البحث .

ثالثًا: إنَّ التأويل الذي أعتبره على حد تعبيري سلاح ذو حدين كان له سبق التأثير الكبير على تدعيم

---

[13] انجيل يوحنا، 1/1.
[14] أبو زيدة، التصوف الإسلامي ماله وما عليه، ص٩١.
[15] الحداد، صوفية المسيحية، ص١٦٠ وما بعدها.
[16] المصدر السابق.
[17] انظر بالتفصيل: الحداد، صوفية المسيحية، ص٤٠٩ وما بعدها.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

مقالات فلاسفة الصوفية في نظرياتهم القائلين بها، فقد اتَّخذ ابن عربي وقبله الحلاج من هذا السلاح وسيلة يدافعون بها عما يقولون، وظهور علم الظاهر والباطن أيضًا كان له يد المعاونة على ذلك، فكان لتأويل النصوص القرآنية قاعدة شرعية يؤكدون صحة ما يقولون ويروجون أيضًا لما يعتقدون تحت شعار أنَّهم من ورثة النبوة ومشكاة العلم النبوي خاصة.

رابعًا: إن المحبة الشديدة والتي أفرط بها الحلاج ومن بعده ابن عربي للنبي صلى الله عليه وسلم جعلتهم يعتقدون باستمرارية وجوده معهم ولم يكن لهم باب لتحقيق تلك الرغبة في الاعتقاد بعدم انقطاع النبوة ورغبتهم بالاتصال بتلك النبوة وما لها من مكارم وفضائل جعلتهم يخرجون على حد تصوري بالقول بالحقيقة المحمدية التي تَروي قليلا محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم.. والله أعلم

خامسًا: لقد اعتمد فلاسفة الصوفية على آيات القرآن الكريم بشكل كبير في قولهم بالحقيقة المحمدية إلى الحد الذي يجعل القارئ لما كتبوه يظن للوهلة الأولى أنَّ الحقيقة المحمدية جاءت من القرآن الكريم صدقًا وعدلا ولكن بعد النظر والتأمل تنكشف الحقيقة الواضحة دون ريب.

سادسًا: إن لجوء فلاسفة الصوفية إلى اتخاذ الألغاز في التعابير والألفاظ المركبة والتي يصعب فهمها على العوام من الناس، جعلهم ينفردون بما يقولون وبما يفكرون عن الآخرين من الناس مما جعل إمكانية مناقشتهم من قبل الآخرين تحتاج إلى عالم متبحر في علوم اللغة أولا ثم في علومهم ثانيًا، وكان لهذا الأسلوب صدى عند العامة فعندما لا يستطيع أحد فهمه من عقائد وعبادات يستسيغها العامة ويعتقدون بمصداقية ما يقولون، وأنهم مختارون للعلم ولحمل مشكاة العلم في عالم الجهل، فيكثر الأتباع أكثر من المعارضين لهذا العلم ولكن من يتصدى لا بد أن يكون عالما وعارفا.

سابعًا: إن اتخاذ فلاسفة الصوفية من حادثة الإسراء والمعراج دليلا يؤكِّدون به مقولتهم بالحقيقة المحمدية والمعرفة التي انفرد بها الرسول صلى الله عليه وسلم بها من حد المبالغة الشيء الكثير، فلا يخفى على أي مسلم كان أنَّ هذه الحادثة تاريخية في نوعها ووقوعها، وهي خاصية جديدة تبين مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه، وكان وقوعها موقع التصديق من الصحابة، والتفسير الصحيح لهذه الحادثة هو المنهاج القويم الذي ينبغي أن نسير عليه دون المبالغة في هذه الحادثة حتى لا تؤدي بنا إلى التأويل والقول بما ليس لنا به علم كما فعل فلاسفة الصوفية.

ثامنًا: إن الصوفية أنفسهم انقسموا إلى قسمين في القول بالحقيقة المحمدية بين مؤيد لها ومعارض وبشدة لما استحدثوه بالقول في الحلول والاتحاد والحقيقة المحمدية وغيرها وليسوا جميعًا متفقين على القول بهذه الأقوال، ومن المنصف أنْ نذكر موقف الجنيد في رد مقولة الحلاج (أنا الحق) بقوله إنَّ خطأ الحلاج (لا يسده إلا رأسه) وهذا يبين شفافية قلوبهم وتميُّزهم بين الصواب والخطأ، ولكن ما أخطا به الفرد لا تعاقب عليه الجماعة بالاتهام أو التعدي والتجريح بالقول.

تاسعًا: إنَّ ما أفرزه القول بالحقيقة المحمدية من نتائج لها تأثير كبير على الإسلام والمسلمين عامة وخاصة القول بوحدة الأديان، فإنَّ هذه النظرية لها من الخطورة الشيء الكبير، فهي معول هدم أصلي وحقيقي لقواعد الشريعة الإسلامية وأساس الرسالة المحمدية وباقي الرسالات على وجه العموم، إذ يتساوى فيها المسلم مع غيره من عباد لشمس أو القمر أو الحيوانات أو النار وغيرها، وهذا مما يرفضه الشرع أولا والعقل السليم ثانيًا.

عاشرًا: في ضل التغيرات التي تعيشها الأمة الإسلامية ومحاربة شديدة من قبل خصومها والمناداة بما يُعرف في وقتنا الحاضر من التقرب بين الأديان والتي يتجرع العالم الإسلامي مرارة هذه الدعوة من ذوبان للهوية الإسلامية والقضاء على الدعوة الإسلامية خاصة إذ الدين لله وإنِ اختلف الشرائع، وهذا ما قاله القائلون بوحدة الأديان والتي تجر علينا الويلات الكثيرة إذا ما استمرت هذه الدعوة، نسأل الله السلامة والمفازة منها.

الحادي عشر: القول بختم الولاية يؤدي – على حد تصوري – إلى الإقلال من شأن النبوة وتفضيل الولاية على النبوة، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم من آيات تبين تفضيل الرسل بعضهم على بعض، وأنهم من اختيار الله لهم وتكريمه لهم بالرسالة، وانتظار البشرية لخاتم الأولياء فيه تقليل من العمل على نصرة الإسلام والاكتفاء بالانتظار دون العمل، لأنه هو المنقذ مما نحن فيه فلِمَ العمل مادام خاتم الأولياء سيعيد لنا النصرة والتمكين.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN :2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الثاني عشـــر: إنّ إمعان العقل بما يفوق طاقته من العلوم الخاصـــة الغيبية يؤدي إلى الوقوع بالخطأ، فلا يمكن لعقل بشـري أنْ يُمعن النظر في الغيبيات ويَصـل إلى نتائج صـحيحة علمية لا تقبل المنازعة في الصـواب والخطأ، فكل ما قيل في الغيبيات والتي لم تصـل إلينا عن طريق الوحي المنزل من قبل الله تحمل الخطأ البشـري لأنه يقول ما ليس به علم ولا إدراك.

الثالث عشـر: إنَّ الحقيقة المحمدية مازالت مستمرة إلى وقتنا المعاصـر، مع كل ما يحمل هذا العصـر من تطور فكري وتكنولوجي وما توصَّـل إليه العلم من إقرار خلق الإنســان ما زال هناك من ينادي بالقبول بها إلى الآن، مما أكَّد أنّ بعض من الصـــوفية مازالوا يؤكدون القول بما قاله الحلاج ثم ابن عربي رغم ما قيل عن هذا الأمر وما تناولته الكتب من تمحيص وتدقيق لهذه المقولة، وما هذا إلا دليل اسـتمرار للتفانِ بحب النبي صـلى الله عليه وسلم... والله أعلم.

تبين في هذا البحث أنَّ نظرية الحقيقة المحمدية عند فلاسـفة الصـوفية قد تضـمنت أراء خاصـة في مجال وحدة الوجود ووحدة الأديان تتسم بشيء من المبالغة والمغالاة، مما أدَّى إلى انقسام الرأي حول فلاسفة الصوفية بين معارض أو مهاجم كابن تيمة [18] الذي يصـل في هجومه عليهم إلى حد وصـفهم بالزندقة والإلحاد وتشـديد الفكر عليهم، وإلى مدافع يدفع عنهم تهمة الزندقة والكفر مثل عبد الوهاب الشـعراني[19] الذي تصـدى للدفاع عن ابن عربي خاصة متأولاً أقواله في وحدة الوجود ووحدة الأديان وغيرها.

وقد تابعه في ذلك عدد من المفكرين والباحثين وكان منطلقهم في الدفاع هو القول باصـطباغ أفكار فلسـفة الصوفية بالصبغة النفسية وخضوع أصحابها لسلطان الوجود وغلبة الحال، وأنه ينبغي أن يُنْظَرَ إلى أقوالهم من هذا المنطلق ومن بين هؤلاء المدافعين الشـــيخ محمد عبده [20] الذي يرى أنّ لابن عربي وأمثاله من الصـــوفية العذر فيما عبروا عن أحوالهم وأنّ فهم هذه الأحوال من شأن الخاصة نفسهم.

واني لأســـال الله العلي القدير أنْ يرزقنا حبّه وحب نبيه وحب من أحب نبيه وأهله وصـــحابته وأمته أجمعين، اللهم آمين .

فهرس المراجع والمصادر

1- الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420ه)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، 1412ه-1992م، ط1.

2- الآلوســي، شــهاب الدين محمود بن عبدالله الحســيني (ت:1270ه)، روح المعاني، تحقيق: علي عبدالباري عظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه، ط1.

3- البخاري، محمد بن إســماعيل أبو عبدالله (ت:810ه)، صــحيح البخاري، تحقيق: محمد زاهر بن ناصــر الناصر، دار طوق النجاة، 1422ه، ط1.

4- بدوي، عبدالرحمن،(ت:2002م)، شطحات الصوفية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1976م، ط2.

5- الترمذي، محمد بن علي بن الحسين بن بشر، الحكيم (ت: 320ه)، ختم الأولياء، تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط1، 1420ه- 1999م.

[18] ابن تيمة، مجموعة الرسائل والوسائل، ج1 ص 176 وما بعدها.
وانظر: ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، ص 144- 148.

[19] الشعراني، اليواقيت والجواهر في بيان عقيدة الأكابر "الكبريت الأحمر"، ص 7-14.

[20] التفتازاني، محمد أبو الوفا، "الطريقة الأكبرية" بحث نُشِرَ بالكتاب التذكاري الذي يُصدره المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، القاهرة 1969م، ص341.

6- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم،(ت:728ه)، مجموعة الرسائل والمسائل، علّق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

7- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الحمن بن علي بن محمد، (ت: 597ه)، تلبيس إبليس، دار الفكر، بيروت، 1421ه-2001م، ط1.

8- الحداد، يوسف درة، صوفية إنجيل توما، المكتبة البوليسية، بدون طبعة وتاريخ نشر.

9- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت: 456ه)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدّم له: د إحسان عباس، دار الآفاق للنشر، بيروت.

10- الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي، مطبعة دندرة للطباعة والنشر،1981م، ط1.

11- الحلاج ، حسين بن منصور (ت:309ه)، الطواسين، دار الكتب العلمية، بيروت،1998م.

12- حلمي، د. محمد مصطفى، ابن الفارض والحب الإلهي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1364ه.

13- ابن حنبل، أبو عبدالله، أحمد، (ت: 241ه)، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، 1421ه- 2001م، ط1.

14- الدهش، د عبد الرحمن بن صالح، الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة الحكمة، بريطانيا، 1425ه- 2004م، ط1.

15- الذهبي، محمود بن أحمد بن عثمان (ت: 748ه)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413ه- 1993م، ط9.

16- الرازي، أحمد ابن فارس بن زكريا القزويني،(ت:395ه)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1399ه-1979م.

17- أبو زيده، محمد علي، التصوف الإسلامي ماله وما عليه، دار الفارس للنشر، القاهرة، 2005م.

18- سليطين، وفيق، الشعر الصوفي بين مفهومي الانفصال والتوحيد، مصر العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م، ط1.

19- السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد،(ت:632ه)، عوارف المعارف، المكتبة العلامية، القاهرة، 1358ه-1939م.

20- الشافعي، د. حسن، في التصوف الإسلامي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1996م.

21- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:1250ه)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

22- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، (ت: 310ه)، تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الرسالة، 1420ه -2000م، ط1.

23- الطوسي، أبو نصر السراج، (ت: 460ه)، اللمع، تحقيق: د محمود عبدالحليم، د طه عبدالباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، 1380ه- 1960م.

24- العياشي أبو سالم، المتصوف الأديب الدكتور عبدالله بنصر العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1998م.

25- العدلوني الأدريسي، محمد، معجم مصطلحات التصوف الفلسفي، دار الثقافة والنشر، 2002م.

26- عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي الكتاب والسنة، مكتبة سلسبيل، 2012م، ط1.

27- ابن عربي، الفتوحات المكية، قرأه وقدّم له نواف الجراح، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004م، ط1.

28- ابن عربي، محمد بن علي بن محمد (ت:638ه)، فصـــوص الأحكام، تعليق: د. أبو علا العفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

29- الغزالي، محمد بن محمد بن أحمد (ت:505ه)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت

30- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصـــاري، (ت: 671ه) تفســير القرطبي، تحقيق: أحمد البرودي وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384ه- 1964م.

31- القشيري، أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن،(ت: 465ه)، الرسالة القشيرية، تحقيق: د عبد الحليم محمود، د محمد سرور نايف، دار المعارف، القاهرة.

32- قضايا الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد تحقيق ودراسة: سعيد عبد الفتاح، ط1.

33- ابن كثير، الحافظ أبي الفداء إســماعيل (ت: 774ه)، تفســير القرآن العظيم، حقق ودقق أصــوله وعلّق حواشيه علي الشيري، دار إحياء التراث العربي، 1408ه- 1988م، ط1.

34- محمود، د.عبد الحليم، القرآن والسنة، دار الفاروق، القاهرة، 1985م.

35- محمود، د.عبد القادر الفلسفة الصوفية، القاهرة، دار الكتاب العربي.

36- مرسلي، بولعشار، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر.

37- ناصــر، عاطف جودة، شــعر ابن الفارض دراســة في الفن الصــوفي، دار الأندلس للطباعة والنشــر، 1981م، ط1.

38- نيكلسون، التصوف الإسلامي، ترجمة: د أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1997

الدوريات:

1- عزيز النصر، عبد المنعم، العلاقة بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل عند الشاعر محي الدين ابن عربي، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مجلة 27، عدد 2، 2000م.

2- عفيفي، أبو العلا، فصوص الحكم، من أين استقى ابن عربي فلسفته الصوفية،

مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، ، مجلد 1، الجزء الأول، سنة 1933م.

3- التفتازاني، محمد أبو الوفا، "الطريقة الأكبرية" بحث نُشِــرَ بالكتاب التذكاري الذي يُصــدره المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، القاهرة 1969م.